

كتفه مسًا رقيقًا وألقى في رُوعه هذه الجملة: «أفق ولا تحدث حسًا، فقد آن أن تستمع لحديث شهرزاد..»

٤

ولا يطول انتظار الملك، لكنه يسمع قائلاً يقول: «فلما كانت الليلة الحادية عشرة بعد الألف قالت شهرزاد ...» ثم ينقطع هذا الصوت، ويبلغ أذن الملك صوت شهرزاد رقيقًا رشيقيًا وهي تقول: «بلغني أيها الملك السعيد أن وزير الملك طهمان بن زهمان اضطر إلى إخفاء ما في نفسه من الخوف على المدينة وأهلها مما أزمعت فاتنة، وخرج وهو يقول للملك: «إنه مبلغ تحدي الأميرة للوك الجن جميعًا.»

فلما خلا الملك إلى ابنته قال لها في صوت باسم يملؤه الحنان: «فستأذنين لي في أن أحدثك بما أبيت أن تسمعيه من الوزراء ورجال القصر؛ فإنهم يا ابنتي قد أشفقوا على أنفسهم ومدينتهم وأهل المملكة جميعًا من هول هذه الحرب التي تتعجلينها، وهم يعلمون أن أهوال الحرب لن تبلغك ولن تبلغني، فإن لك ولي من ملكنا عصمة ووزرًا، ولكنها ستبلغهم هم، ستعرض شبابهم للموت، وستعرض أطفالهم لليتم، وستعرض شيوخهم للبؤس والشكل، وستعرض نساءهم للتأيم والشقاء، وستعرض أموالهم للفناء، ستصب عليهم البؤس صبا في ألوانه المختلفة التي لم ندقها ولا ينتظر أن ندوقها، ولكننا نعلم ما نعلم من أمرها بما نقرأ في الكتب وما نسمع في الأحاديث، وقلما نراها رأي العين أو نحسها إحساسًا مباشرًا، فنحن لا نتنزل إلى مخالطة الرعية لنشهدا حين تبتهج وحين تبتئس وحين يمسخها جناح من لين أو يصيبها عارض من شدة، فلهم العذر يا ابنتي إن ارتاعوا أو التاعوا أو أشفقوا من هذا المكروه الذي يوشك أن يلم بهم فلا يبقى عليهم، وفي قلوبنا نحن الرجال قسوة، وفي أكبادنا غلظ، وفي طبائعنا شدة وعنف، ولكن قلوب النساء رحيمة، وأكبادهن رقيقة، وطباعهن لينة صافية، فإذا دبر ملوك الجن ما دبروا وقدرنا أن ينصبوا لنا الحرب، فقد كنت أنا خليقًا أن ألقاهم بهذه الشدة، وأن أنصب لهم حربًا كالتي يريدون أن ينصبوها لي، وأن أكيد لهم كما يكيدون لي، وكنت أنت خليقة يا ابنتي أن تشفقي من هذا الهول، وأن ترفقي بالرعية، وأن تقترحي علي وعلى الوزراء من وسائل السلم ما يرد عن الناس هذا المكروه، ولكنهم يا ابنتي قد رأوني صامتًا لا أمر ولا أنهى، ورأوك مقدمة على هذا الأمر العظيم لا تحسبين حسابًا لنعيمهم الضائع وبؤسهم الواقع، فأذكروا في نفوسهم وهموا أن يجهروا بما أضمرت قلوبهم، ولكنهم خافوك وخافوني،